من ملامح الدلالات البديعية بين تفسيري

((في ظلال القرآن)) و((التصوير الفني في القرآن)) لسيد قطب

الدكتور سيد باقر الحسيني
عضو هيأة التدريس بجامعة زابل - إيران
drhosseinisistani@gmail.com

Among the features of the creative connotations between the two interpretations of "In the Shadows of the Qur'an" and "The Artistic Imagination in the Qur'an" by Sayed Qutb

Dr. Sayyid Baqir al-Husayni
Iran، A member of the teaching staff at Zabul University

الملخص:-

لاشك أن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز في تشريعه وعلومه ولغته ومصدر الأحكام من العقيدة و الأدب. أما الإعجاز من حيث التشريع فيتعجب ذوالعقول بأحكامه الوافية في كل زمان ومكان وفى كل ما يحتاج إليه البشر من عقائد وعبادة ومعاملات وأخلاق وغير ذلك. والإعجاز من حيث اللغة والأدب فتعجب ذوالعقول وأولو الألباب بما فيه من الأعجاز والبراعة ومنتهى البلاغة وغاية الانسجام والتوافق والإلتئام والتناسب. تلعب الكلمات الدور الأساسي في توصيل المفهوم بين جميع لغات العالم. من بين العلوم المستخدمة في عملية التفسير، يحظى علم البلاغة بمكانة خاصة، حيث إنه معيار مهم لإثبات المكانة العلمية وقدرة العلماء. يحتوي القرآن الكريم على الكثير من أمثلة على علم البديع، فيوجد في القرآن محسنات لفظية، ومعنوية وأكدت عليها التفاسير القرآنية. وفي عملية التفسير، وبسبب توسع أنواع الوجوه البلاغية، يمكن دراسته من زوايا مختلفة، لكن ما تم دراسته في هذه المقالة هو النظرة الأدبية للبديع بين تفسيري ((في ظلال القرآن)) و((التصوير الفني في القرآن)) لسيد قطب. يفسر سيد قطب في كلا التفسيرين الآيات وفقاً لنظرة جديدة ومعايير جديدة، والذي يتم وضعهما في موضع التشابه والاختلاف. هذه المقالة تناقش القواسم المشتركة الجديدة بين التفسيرين وتحلل الاختلافات بين العملين بشكل منفصل؛ مما يدل على النظرة البسيطة لسيد قطب في العلم البديع.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، علم البديع، سيد قطب، في ضلال القرآن، التصوير الفني في القرآن.

Abstract:-

There is no doubt that the Noble Qur'an is the miraculous word of God in his legislation, his sciences, and his language, and the source of rulings from belief and literature. As for the miracles in terms of legislation, minds marvel at its adequate rulings in every time and place and in all the beliefs, worship, dealings, morals and so forth that people need. And miracles in terms of language and literature, so the minds and minds wonder, including the miracles, ingenuity, the utmost rhetoric, and the goal of harmony, harmony, harmony and proportionality. Words play the primary role in communicating the concept between all the world's languages. Among the sciences used in the process of interpretation, the science of rhetoric has a special place, as it is an important criterion for establishing the scientific standing and the ability of scholars. The Noble Qur'an contains many examples of Badi science. There are verbal and moral advantages in the Qur'an that are emphasized by Qur'anic interpretations. In the process of interpretation, and due to the expansion of the types of rhetorical faces, it can be studied from different angles, but what has been studied in this article is the literary view of the Badi between the two interpretations of "In the Shadows of the Qur'an" and "Artistic Imagination in the Qur'an" by Sayyid Qutb. In both interpretations, Sayyid Qutb interprets the verses according to a new look and new standards, which are placed in the position of similarity and difference. This article discusses new commonalities between the two interpretations and analyzes the differences between the two works separately; Which indicates the simple view of Sayyid Qutb in innovation.

Key words: Rhetoric, Badi science, Sayyid Qutb, In the delusion of the Qur'an, artistic representation in the Qur'an.

١. المقدمة

القرآن الكريم هو آخر كتاب سماوي نزّل لهداية جميع البشر ؛لأن هذا الكتاب هو كتاب كامل لا يتناول البعد الفردي للبشر فحسب، بل من وجهة نظر اجتماعية، ويهب أيضًا خطة شاملة وجيدة يجعل آحاد البشر بالتفكير في آياته بناءً على قدراتهم العلمية وإذا كانوا يواجهون صعوبة في فهمها وتفسيرها فعليهم الرجوع إلى المصادر التفسيرية. ((وبناء على أن فهم الآيات مهم للغاية في الحياة الفردية وفي الحياة الاجتماعية؛ فلا غنى عن الاهتمام بالقضايا والتحديات المفهومية من وجهة نظر القرآن؛ لذلك أقبل علماء العصر الحديث على الجانب الأدبي والجمالي للتفاسير القرآنية. كالتفاسير التي ركزت على البعد اللغوي والجمالي للآيات منها تفسير الميزان ومن وحي القرآن والكاشف وفي ضوء القرآن، والمنار وفي ظلال القرآن، والتحرير والتنوير، وتفسير المراغي والتفسير المنير)) (محمدي، ٢٠٠٥: ٣٥).

كان المنهج الأدبي في تفسير القرآن موجودا في نفس وقت نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم. بالإضافة إلى شرح المعنى، كان الرسول الكريم ﷺ يقوم بشرح كلمات القرآن. ((في غضون ذلك، إذا واجه الصحابة والتابعون صعوبات في فهم الكلام والمعنى، فإنهم يلجئون إلى التراث الأدبي للعرب من أجل الوصول إلى المعنى والفهم الصحيح. وقد تحققت ردود ابن عباس على نافع بن الأزرق، حيث قام ابن عباس، من خلال اقتباس القصائد العربية، بتفسير بعض كلمات القرآن، بما يتماشى مع هذا المفهوم)) (الحسيني، ٢٠١٩: ٥٩). بعد التعرف على القراءة الحقيقية والتوصل إلى معنى الكلمات، يقوم المفسر بتحليل تكوين الكلمات وهيكل الكلمة الإلهية. هذا ممكن في ضوء قواعد النحو. في الخطوة التالية، بمساعدة العلوم البلاغية، يتم فحص طرق مختلفة لتوصيل المعاني وإزالة القيود اللفظية والمعنوية، ويتم تمهيد الطريق للوصول إلى المقاصد وراء الكلمات. ((والجدير بالذكر أن ما قلناه عن الاهتمام بمعاني الكلمات في عصر الوحي وسلطة آراء معجمي المعاجم ينطبق أيضًا في هذا القسم)) (التفتازاني، ١٤٢٤: ٢).

في منهج التفسير الأدبي، لا يوجد فرق بين النصوص المقدسة والنصوص الأخرى من حيث تطبيق القواعد الصرفية والنحوية. ((في طريقة التفسير الأدبي من خلال القراءات

والجوانب النحوية والبلاغية، غالبًا ما يُعتبر أنه من الممكن أن يكون هناك عدة معانٍ للآية من وجهة نظر أدبية، ولكن هذا ليس نهاية الأمر بل، يحاول المفسر الوصول إلى المعنى الموحد للنص من خلال النظر في الأدلة اللفظية المستمرة والمتقطعة بالإضافة إلى الأدلة المتقطعة والحاضرة والأدلة للمقال واستنتاجات طرق التفسير الأخرى)) (المعرفة، ٢٠٠٠: ٨١).

((يعمد التفسير الأدبي إلى معاني الآيات القرآنية التي تؤديها ألفاظها العربية المبنية، كما كان يفهما أهل العربية في عهد نزول القرآن ولا تجاوز ذلك فتحمل ألفاظ القرآن شيئاً من المعاني الباطنية أو الإشارة، أو التأويلات، أو الصناعات التي تنشط لها علوم العربية من نحو منطقي بعيد عن الطبيعة اللغوية، أو بلاغة فلسفية نظرية نائية عن الأجواء الفنية)) (ميرجليلي، ٢٠١٠: ٣٤). وكذلك ((يهدف التفسير الأدبي إلى تفسير القرآن موضوعات، لا سوراً، وأجزاء، وقطعاً متصلة، على ضرب من الترتيب)) (نظمي، ١٩٩٩: ١١٢).

تعد الدراسات اللغوية البلاغية للقرآن الكريم من أجلّ الدراسات وأجزلها مثوبة عند الله تعالى، إذ ((إنها تبرز الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن العظيم، فأجل العلوم وأشرفها الدراسات المتعلقة بكتاب الله استنباطا، وعلما، ودراسة، ودراية)) (الباقلاني، ٢٠٠١: ٤٩). والدراسات البلاغية عديدة، وتناولت جوانب مهمة من القرآن الكريم، والبحث هذا الموسوم ((جوانب البديع بين تفسيري في ضلال القرآن و التصوير الفني في القرآن لسيد قطب)) يتناول جانبا بلاغيا من القرآن الكريم ويسلط الأضواء على مزية من مزايا اللغة العربية التي تشرفت أن نزل القرآن بلسانها. وأهمية هذا البحث تنبع من أهمية المادة المدروسة ألا وهي البديع في تفاسير سيد قطب، الذي هو أستاذ لهذا الفن وله مكانته وأهميته بين علماء البلاغة وعلماء التفسير.

ما هو مشهود في تفسير سيد قطب هو ((منهج سيد قطب الذي يذكر فيه بعض الآيات في بداية تفسيره، ثم الجو العام للسورة، والقضايا التاريخية لوقت نزول الآية، والحقائق الواردة في الآية، وكذلك مقاصد السورة وأهدافها)) (الحسيني، ٢٠١٩: ٢١١). إضافة إلى ذكر هذه الأمور، فهو يشرح فضل السورة وأسباب نزولها، ومدى ارتباطها بالسورة السابقة، ثم يذكر سمات أخرى في السورة والآية، ثم يشرح للمرة الثانية تفسير عدد من الآيات. يعبر عنها بالتعابير والتلميحات، ويذكر أحياناً آثارا أخرى في تفسير الآية (المرجع

نفسه: ٢١١). دراسة الإعجاز البديعي من وجهة نظر علم البديع هو موضوع انعكس فنياً في تفسير سيد قطب. إنه مفسر أدبي، وقد ميزته وجهة نظره الأدبية ((تفسير في ظلال القرآن)) و ((التصوير الفني في القرآن)) كلاهما تفسيران مهمان كتبهما سيد قطب. لكن جوانب الإعجاز البديعي في كلا التفسيرين تمت بمظهر مختلف، وهي إحدى خصائص قلم سيد قطب.

نظرا إلى الأبعاد الأدبية والبديعية لكلا التفسيرين، تم إجراء تفسير مقارن بين التفسيرين، والذي سنناقشه. ومع ذلك، فقد أجريت دراسات مختلفة بشأن تحليل تفسيري ((في ظلال القرآن)) و ((التصوير الفني في القرآن)) لكن تحليل الدلالات الجمالية للتفاسير القرآنية في سياق كامل مثل هذين التفسيرين كمشكلة مازالت قائمة. يسعى هذا البحث بالاستلهام من طريقة التحليل الجمالي والبديعي للتفاسير وتمشيا مع أهداف القرآن، إلى تقديم نموذج لتحليل تفسيري ((في ظلال القرآن)) و ((التصوير الفني في القرآن))، لاكتشاف التعابير البديعية السائدة وطريقة إنتاجها في مستوياتها العميقة ووظيفتها الأدبية؛ لذلك فإن أهم الأسئلة التي يسعى هذا البحث إلى الإجابة عليها هي:

- ما هي الجوانب البديعية المبرّزة في تفسيري ((في ظلال القرآن)) و ((التصوير الفني في القرآن))؟
- كيف ساهم ابن عاشر والسيد فضل الله في جمالية البيان البلاغي؟

لا شك أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المناسب الذي يعتمد قصد الاحاطة بأهم جوانبه ومن أجل ذلك اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي من خلال وصف لأنواع البديع وذكر مفاهيمه مستعينا بالتحليل باعتباره أداة مساعدة في فهم فن البديع في تفسير القرآن الكريم و بالتحديد تفسيري سيد قطب، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي حينما تتبعت نشأة البديع في العصور المختلفة وتطور مصطلحه. وقد واجهت البحث عدة صعوبات، لعل أهمها: أنه كان لازماً أن ينظر الباحث في كل أجزاء التفسيرين، وهذا الأمر احتاج إلى الجلوس وقتاً طويلاً فهما من التفاسير المهمة وأكثرها مادة بلاغية. أوصت الدراسة بضرورة الاجتهاد في دراسة اللغة العربية والاهتمام بها، لأنها بالدرجة الأولى لغة القرآن الكريم، وقد عظمها رب العباد وأكرمها بذلك، ولأنها المفتاح الرئيس لمعرفة القرآن الكريم ودراسة معانيه وعلومه، وتفسيره واستيعاب الإعجاز الوارد فيه.

٢. لمحة عن حياة سيد قطب

ولد سيد قطب في سبتمبر ١٩٠٦ في مدينة موشا بمحافظة أسيوط وسط مصر. وكان ينتمي إلى عائلة من النبلاء الريفيين الذين يعانون من الفقر (كوبل، ٢٠١٥: ٣٦). بعد التخرج عُين مدرسا في وزارة المعارف واستمر في التدريس لمدة ست سنوات (١٩٣٣-١٩٣٩) ثم ترك التدريس وواصل العمل في الوزارة كمشرف على الثقافة العامة. (الحسيني، ٢٠١٩: ٢٠٢). من عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٥ كان مفتشا في الوزارة. في عام ١٩٤٥، عندما ترك الأحزاب السياسية لأنه اعتبرها من بقايا العصور القديمة، انتقل الموضوع الرئيسي لمقالاته من الأدب إلى القومية والأحداث السياسية والقضايا الاجتماعية. ((كانت جهوده صاخبة لدرجة أنها أرعبت الملك فاروق. أراد الملك سجنه، لكن تمكّن سيد من الهروب من السجن بسبب اتصالاته السابقة بأنصار حؤب الوفد، وبدلاً من السجن تم إرساله إلى المنفى بشكل غير رسمي. تم إرسال سيد إلى الولايات المتحدة للحصول على الإقامة لأجل غير مسمى في عام ١٩٤٨ لدراسة نظام التعليم الأمريكي نيابة عن وزارة المعارف العامة)) "(كوبيل، ٢٠١٥: ٣٨). في عام ١٩٥٢، شارك السيد كممثل للإخوان المسلمين في "مؤتمر الشعب الإسلامي" الذي عقد في القدس. اعتقل السيد في عام ١٩٥٤ وأفرج عنه بعد ذلك بوقت قصير. ثم قاموا بأعتقاله مرة أخرى وبقي في السجن إلى أن حكمت المحكمة برئاسة محمد فؤاد الدجوي عليه بالإعدام. نفذ النظام الناصري حكم الإعدام على سيد ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل رحمهم الله صباح يوم ٢٩ آب / أغسطس ١٩٦٦. نشرت صحيفة الأهرام (٢٩١١) خبر الإعدام في زوايا صغيرة دون أي تفسير.

ابتدأت حياة سيد قطب الفكرية بقراءة الشعر ونظمه، فكان يتذوق المعاني والألفاظ، ويرسم الصور الناتجة من تراكيب الكلمات مستعينا بثقافته الواسعة؛ فأنتج لنا مجموعة من الأعمال الفكرية القيمة والتي يمكن تتبعها: ((اشتغل سيد قطب بالدراسة الأدبية والشعرية وكان أقرب إلى التجديد في شعره إلى المحافظة، وأميل إلى أن يكون من أصحاب الاتجاه العاطفي إلى الاتجاه التجديدي المذهبي)) (محمد حسين، ١٩٩٩: ٥٣). وقد اعتبره الأستاذ عبد العزيز الدسوقي ممن اشتركوا مع شعراء أبولو في نزعاتهم ونظراتهم (الدسوقي، ١٩٧١: ٣٧٩). فالتجديد عند سيد قطب ليس الأمر المستجد عليه، بل هو متأصل عنده منذ بداية

تفتحه الفكري والثقافي. وكان ذلك تمهيدا لأن يتعامل مع النص القرآني على أساس (التصوير والتخيل) متخليا عن قوالب المفسرين القدامى في تعاملهم مع النص القرآني الكريم)) (محمد حسين، ١٩٩٩: ٢٤٧). وهذه الرؤية هي التي اعتمد عليها سيد قطب في تفسيره ((التصوير الفني في القرآن)) والذي اعتمد فيه على إبراز الصور التي ترسم في ذهنه عند سماع آية من آيات القرآن الكريم.

٣. البحث المقارن

إن موضوع المقارن هو دراسة نقل الثقافة من إحدى الأمم إلى أمم أخرى. يؤثر المؤلفون في بعضهم البعض في الرسوم التوضيحية، وطريقة التعبير عن المشاعر، واختيار الأشكال والموضوعات، والترجمات، وما إلى ذلك. يذكر جويارد في تعريفه عن الدراسة المقارنة: ((الباحث في الموضوع المقارن يشبه الشخص الذي يتربص في عالم اللغة الوطنية لتسجيل وفحص جميع التبادلات الفكرية والثقافية بين دولتين أو شعبين أو أكثر)) (ويبستر، ١٩٩٥: ٢٢٤). إن البحث في الأدب المقارن ((يدرس العناصر المتبادلة للأدب بلغاة مختلفة، وإيجاد العديد من الروابط المعقدة الموجودة في الأدب الماضي والحاضر)) (الحسيني، ٢٠١٨: ٤٠)

((كان العلماء الفرنسيون أول من أدخل الأسلوب المقارن في البحث الأدبي. في عام ١٨٢٨، استخدم ويلمان، الأستاذ في جامعة سوربون، مصطلح "الأدب المقارن" لأول مرة في محاضرته. تعتبر أطروحة جوزيف تيكست ((روسو ومبادئ الكوزموبوليتانية الأدبية)) أول دراسة جادة للأدب المقارن في فرنسا)) (ويبستر، ١٩٩٥: ٢٢٢). تعتبر القواسم الفكرية المشتركة والاهتمامات والأذواق والصلاة و نفس الأهداف، ضرورية لعملين أدبيين، حتى يتمكن الناقد من فحصها من حيث الأدب المقارن. (الحسيني، ٢٠١٨: ٤٠).

أما التفسير المقارن فهو منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم؛ أي أنه أسلوب من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله ومركبا من مراكبه، إلى جانب الأساليب الأخرى المتعارف عليها عند علماء التفسير: التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي. والتفسير المقارن هو ((بيان الآيات القرآنية من خلال إيراد ما ذهب إليه المفسرون في النص المتناول، آية أو وحدة من الآيات المترابطة فيما بينها، ثم إعمال الموازنة بين آرائهم وإستعراض إستدلالاتهم للنظر فيها و بناء عليه ينتقد ويرد المفسر القول المرجوح

مبينا تعليله بإيراد الأدلة عليه ثم الإستدلال للراجح بعد بيانه)) (بن سليمان، ١٩٨٦: ٨٦٢/٣). وذلك لأن أقوال المفسرين قد تتباين فيما يذهبون إليه من تحليل النص القرآني إضافة إلى كون الآيات القرآنية حمالة للوجوه المتعددة فلابد للمفسر الذي يكتب في موضوع ما، ووجد هذه الأقوال في تفسير آية تتعلق بموضوعه، ((لابد من وقفة متأنية دقيقة مع إطلاق نظرات ثاقبة للترجيح بين هذه الأقوال ومعرفة المصيب منها وغير المصيب، الراجح والمرجوح، في حالة وقوع التباين و ليختار القول المناسب لموضوعه من هذه الأقوال بغية توضيح عناصر الموضوع والربط بين الأساليب القرآنية في أداء المعنى، وبالتالي للوصول إلى الهدايات القرآنية المتعلقة بالموضوع مجال البحث)) (مسلم، ٢٠٠٥: ٥٤).

٤. أساليب البديع بين تفسيري ((في ضلال القرآن)) و((التصوير الفني في القرآن))

ليس همُّ هذه الأوراق الرئيس أن تعمد إلى تأويل وتدبر شيء من أساليب البديع في البيان العلي المعجز (بيان القرآن)؛ بل هي إلى مناقدة المنهج الذي يسلك إلى تحقيق تدبر هذه الأساليب فيه مناقدة متسمة بأنها مفسرة حينا وبأنها مقومة حينا، ومن فسر شيئا فقد حكم عليه ضمنا على ما عليه الأعيان من أهل العلم، وبأنها هادية إلى الحسنى حينا، فهي مناقدة أشبه بالناصبة المقيمة معالم على الطريق إلى ما تحسب أنه الحسن والإحسان معا. فيعتقد سيد قطب بأن ((البلاغة في كل من هذه الآيات القرآنية تقدم صورة جميلة وكاملة ومناسبة للقرآن الكريم تتناسب مع الموضوع وتنسجم مع طبيعة الإنسان، وتجعل القارئ يمشي ويراقب وبالتالي يفكر بعينيه وقلبه وروحه)) (قطب، ١٩٨٠: ١٠٢). فيؤكد في تفسيره على البعض من المحسنات اللفظية والمعنوية، ومنها ما يلي:

٤-١. المناسبة

إن كل سورة من سور القرآن تبيّن جزئيات الموضوعات المختلفة وتجعله محوراً لها، لذلك ل((ا يمكننا أن نطلق على السور القرآنية بأنها موضوعات مستقلّة تتكلم عن موضوع محدَّد ومعيّن ذي أقسام وفصول، فلا نقول إن سور القرآن ذات مواضيع مستقلة وذات بحوث متعددة، حالها حال أي كتاب عادي)) (طنوس، ١٤١٤: ٧٨). وإنما القرآن كتاب هداية، هدفه إرشاد البشر وهدايتهم نحو الفلاح والصلاح، وكل سورة من سور القرآن الكريم تناولت موضوعات مختلفة ومتناسبة، وقد تظافرت تلك الموضوعات من أجل تحقيق

ذلك الهدف الذي من أجله نزل القرآن الكريم.

كما آمن سيد قطب بهذا النوع من المناسبة، وأشار إليه مرات عديدة في تفسير الآيات، لاسيما الآيات الأخيرة من السور. على سبيل المثال، في سورة المؤمنون، بعد أن أوضح حقيقة الإيمان، رد على شكوك الكاذبين حول حقيقة الإيمان ووعد بنجاة المؤمنين. ((وهذه السورة، من وجهة نظر سيد قطب، هي الإيمان، وهي مبينة في ٤ شروط ؛ ثم يكتب أن النقطة المثيرة للاهتمام هي: أن افتتاح السورة يتحدث عن خير المؤمنين ونهايته تتحدث عن عدم فلاحة الكفار. لذلك، تم ذكر ارتباط قوي وتوافق عميق بين الجزأين الرئيسيين في السورة وقام بربط اجزاء السورة ببعض)) (قطب، ١٤١٢: ٢٤٥/٢). فقد جاء في نهاية سورة النساء: لقد بدأت السورة كما ينبغي وتناولت مسائل الأسرة والعلاقات الاجتماعية (مسلم، ٢٠٠٥: ٦٩). ويعتقد سيد قطب بأن((لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعا.. ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيه ملامحها، وتتميز به شخصيتها. كالكائن الحي المميز السمات والملامح، وهو - مع هذا - واحد من جنسه على العموم)) (قطب، ١٤١٢: ٨٢٣/٢).

وعن هذه الآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، يعتقد سيد قطب بأنه ((لا نرى في أسباب النزول التي وردت ما يخصص الآية بالصلاة المكتوبة وغير المكتوبة، ذلك أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب. والأقرب أن يكون ذلك عاماً لا يخصصه شيء، فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له - حيثما قرئ - هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه ! وإذا قال الله أفلا يستمع الناس وينصتون؟! ثم رجاء الرحمة لهم: (لعلكم ترحمون). ما الذي يخصصه بالصلاة؟ وحيثما قرئ القرآن، واستمعت له النفس وأنصتت، كان ذلك أرجى لأن تعي وتتأثر وتستجيب ؛ فكان ذلك أرجى أن ترحم في الدنيا والآخرة جميعاً)) (قطب، ١٤١٢: ١٢٣/٣). ويقول أن هذه السورة تبدأ بالإشارة إلى الدين القرآني، حيث تقول: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (الأعراف: ٢). ثم يؤكد أن: هذه السورة تختتم بآيات تهدي الناس للخير والإستماع إلى دين القرآن حتى يصلوا إلى الرحمة والمغفرة الإلهية. (قطب، ١٤١٢: ١٤٢٥/٣).

كما أشار سيد قطب بداية سورة الاعراف إلى الارتباط الموجود ما بين بداية ونهاية السورة حتى يحضر القارئ لاكتساب معنى ومحتوى السورة. ﴿المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الاعراف/ ١-٣). أولاً، هذه السورة تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وقومه منذ اللحظة الأولى، القوم الذين يذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد بهذا القرآن...، وشرح رحلة الانسان الطويلة، العودة من هذه الهجرة المعروفة والمحدودة، وأي مشهد من الكون الموجود ويوم القيامة، هو مخاطبة غير مباشرة - وأحياناً مباشرة - للنبي صلى الله عليه وسلم وقومه، وفيه جوانب للتهديد والخوف والموعظة. كما استخدم سيد قطب إحدى طرقه التفسيرية لشرح التنسيق والملاءمة بين بداية السورة ونهايتها، مع الغرض الأساسي من السورة.

وفي تفسير ((التصوير الفني في القرآن)) يؤكد سيد قطب على وجود المناسبة التامة بين آيات القرآن: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١). فكلمة (النعاس) التي في تعبير نوم الناس (غشيه النعاس). هذه القيلولة، التي يُنظر إليها على أنها راحة للبشر، ناعمة ولطيفة، وتظهر كغطاء شفاف بطريقة تغطي حواس الإنسان بنعمة ونقاء خاصين، وبالتالي فإن تعبير (أمنة منه) يحتوي على نوع من السلام والراحة والنعومة. في مكان آخر يبين الترتيب الذي تكون فيه الصورة الثانية هي الصورة الماضية ؛ ((مع البساط المزال والعالم المفقود، والصورة الأولى هي نفسها الصورة الموجودة، الصورة التي يرى الإنسان بوضوح أنه لا يوجد مخرج، الشدة التي ستنفصل بالتأكيد عن الانسان. أن الانسان في حركته نحو الرب تتلوي ساقه باستمرار بسبب شدة الألم والضغط)) (قطب، ١٩٨٠: ١٤٠).

ونوع آخر من المناسبة ما يسمى بالتنسيق. يتم استكشاف موضوع التنسيق والترتيب الجميل، وهو الحد الأقصى للكمال الفني. وأصل التنسيق يعني ((اختيار الكلمات المناسبة مع سياق المعنى واختيار الموسيقى المناسبة بالمعنى الذي ينشأ من اختيار الكلمات)) (قطب، ١٩٨٠: ١٢٧). يعتقد سيد قطب بأن الآية الكريمة تتبع أصل التنسيق: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة:٧٠)؛ فيقول: هناك تنسيق في عبارة ((أن الله عليم بذات الصدور)). بعد أداء علم خفي، يأتي التفسير باسم الموصل كل منهم مع المتعلق والتسلسل يبين سبب العقوبة والثواب على النحو التالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٠). فنلاحظ أن بعد كلمة ((الذين)) تم التعبير عن سبب هذا الحرمان والعقاب مباشرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨). هناك مرحلة أخرى في خلق هذا التناسق، وذلك الصوت والجرس الخاصان للفظ وليست العبارة. وهذه المسئلة نشأتها من كلمة ((اثاقلتم)). ((نرى أن الخيال يتخيل جسماً ثقيلا، يرغب في الأرض، ويحاول البعض رفعه. ثم يتحرر ويسقط على الأرض بكل ثقله. أنه كلما تم نطق هذه الكلمة تثاقلتم، فإن هذا الصوت سيصبح بالتأكيد خفيفًا جدًا، ولن يتحقق تأثير المعنى وهذا الانسجام للصوت مع النية)) (قطب، ١٩٨٠: ١٣٣).

٤-٢. الفواصل

إن القرآن الكريم الذي هو أرقى نص أدبي على الإطلاق، كان قد وظّف كلَّ ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات، وبخاصة القدرة على التصوير من جهة، والتنغيم من جهة أخرى، وذلك بهدف بلوغ أعمق مواطن التأثير في المتلقّي، فغدا الصوتُ فيه صورةً متميزة للتناسق الفني، ومظهراً من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات إعجازه الأسلوبي والبياني الرفيع. لذا كان وقع القرآن على الآذان لا يجري وفق نمطٍ واحد رتيب، بل يتنوع بتنوع الموضوع، فتارةً يكون إيقاعُه هادئاً كنسيم الجنان، وتارةً يكون هادراً كريحٍ صرصرٍ عاتية، وتارةً أخرى يكون لا هذا ولا ذاك، فهو يتلوَّن بتلوُّنِ الأغراض الدلالية. الآن نشير إلى الجوانب المختلفة للإعجاز البديعي في تفسير سيد قطب. فهو يشير إلى علم الأصوات والإعجاز البديعي له إلى الآية الكريمة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ١-٤). فهو يعتقد بأن ((في السورة بأكملها، هناك موسيقى

مقدسة لها تجري في البنية اللفظية للسورة، والتي توجه المعنى إلى الوجهة الرئيسية للسورة من خلال فترات متوازنة ومتناسبة)) (قطب، ١٤١٢: ٦/٣٤٠٤).

ومن أمثلة النموذج الثاني؛ حيث أنّ صيغة الكلمة من ناحية الحركات، إضافةً إلى حالتها الإعرابية في التركيب فيهما دلالة على المعنى، ما ورد في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر:٩-١٢). فقد دعا نبي الله نوح (ع) ربه أن ((ينصره على قومه الذين كذبوه، فما لبثت أبواب السماء أن انفتحت على مصراعيها، فانهمر منها مطر غزير، وغدت الأرض كلها عيونا متفجرة بالماء، فالتقى الماء على أمر قد قُدر. فكلمة (ففتحنا) تبدأ بثلاث فتحات متوالية، تنسجم تماما مع فعل فتح أبواب السماء. ويقوي الاحساس بفعل الفتح انتهاء هذه الكلمة بفتحة رابعة مختومة بحرف مد منفصل، يمد بمقدار أربع أو خمس حركات)) (الحمصي، ١٩٩٩: ٦١٦).))يوحي بمقدار ذلك الفتح الذي وسع السماء كلها. ثم تتوالى بعد ذلك حركة الفتح على كلمة أبواب المنصوبة، ثم السماء، مع ملاحظة الحرف الأخير منهما المردوف بألف المد المرتكز على حركة الفتح، وما يوحي من الاستطالة والسعة والامتداد، ثم تختم الكلمة الأخيرة (السماء) بحرف مكسور إيذانا بنزول الماء منها، لتتوالى بعدها حركة الكسر في كلمتي (بماء منهمر) وتختمان بها. ولا يخفى ما بين حركة الكسر المتكرر، وبين فعل نزول الماء من السماء إلى الأرض من تلاؤم و تناغم، من شأنه تحويل حاسة السمع في القارئ والسامع إلى حاسة إبصار، خاصة ما يوحي به تنوين الكسر في نهاية الكلمتين الأخيرتين من شدة الانهمار، وما يدل عليه حرف الراء في آخر (منهمر) من التكرار، بسبب خاصيته التكريرية)) (نفس المرجع: ٦١٧).

هذه الرؤية الفنية التي اعتمد عليها سيد قطب من خلال تعامله مع النص القرآني جعلته يتأمل في الفواصل القرآنية الباعثة لسحر يقع في قلوب سامعيه، فعند تناول الشيخ سيد قطب هذه الآيات بالتفسير وجد أنها تضم فواصل قصيرة، وأشار إلى أنها أقرب بسجع الكهان مما كان معروفا عند العرب إذ ذاك، ولكنه يرى أن سجع الكهان عبارة عن جمل متناثرة، لا رابط بينها، ولكن القرآن الكريم له نسق متساوي، يربط فواصله تناسق داخلي دقيق. فدراسة سيد قطب للفواصل القرآنية لا تنفصل عن رؤيته الذاتية للنص القرآني التي

قد تشابه مع دراسة سبقته، حيث قمنا بدراسة مواضع القوة في آثاره التفسيرية وخاصة تفسيري ((في ضلال القرآن)) و((التصوير الفني في القرآن)). فبالنسبة إلى جمالية الفواصل القرآنية نشير إلى أن قوة الكلمة القرآنية راجعة إلى مدى تعبير تركيبها عن أعماق ما في طبيعة البلاد العربية، والعقلية العربية ومدى الأثر الناتج عن سماع هذه الكلمة أو العبارة من مخزون متراكم عن دلالة هذه العبارة في نفس المتلقي.

٤-٣. التمثيل

إن المثل خير وسيلة لبيان ما في الضمير بصورة موجزة ومفيدة، واستخدامُ الأمثال ظاهرة رائعة نجدها في كثير من الآيات أو ضمن قصص متنوعة. هناك عبارات منثورة ومنظومة أصبحت أمثالاً وحكمًا لكثرة استعمالها. تستخدم الأمثال احترازاً من الإطناب؛ فهي تبين المواضيع بصورة واضحة ولكن على سبيل التعريض والكناية. وأمّا محسنة التمثيل في علم البديع فهو الإتيان بمثل معروف أو شعر أو قول حكمي في النص ليصبح مثلاً أو جارياً مجرى الأمثال ويقبل عليه العامة والخاصة. والتمثيل فهو من أبرز أنواع التشبيه في القرآن الكريم، إذ أكد إليها سيد قطب في تفسيريه، فنأتي هنا البعض من الآيات، والتفاصيل التي جاء بها المفسّر: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٧-١٩). ويفسر سيد قطب هذه الآي بأن ((الآذان والألسن والعيون لقد خلقت لتستقبل الأصوات والأضواء وتستنفع من نور الله وهدايته. وأنهم صم لأن سبحان وتعالي أقفل إذانهم وإنهم بكم لأن الله أقفل فمهم وإنهم عمي لأنه أقفل عيونهم. لذا ليس لديهم سبيلا للرجوع إلى سبحان وتعالي ونوره وهدايته)) (قطب، ١٤١٢: ١/٤٥).

وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (حج/ ٧٣)؛ يعتقد سيد قطب بأن ((هذه الآية تسيطر الضوء على العجز الموجود لخلق ذبابة صغيرة اكثر من خلق الإبل والفيلة دون الإخلال بالحقيقة وتبيين المسألة)) (نفس المرجع: ٤/٢٤٤٤).

تنقل الصورة القرآنية أعماق الإنسان لتطلعه على حقائق الحياة والوجود بالمشاهد المعروضة والصور المذهلة والأنماط المرسومة والأحداث الواقعية وقصص الماضي، و((لزيادة التأثير العاطفي، تفتح نوافذ الروح، لقبول التأثير من قنوات الفكر والعاطفة والعقل والإحساس معا)) (الراغب، ١٤١٢: ٥١). ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤١-٤٣). يمكن رؤية مثال على رسم المشاعر في هذه الآية، فوجه الشبه يتوافق مع سياق الموقف، فكثافته وموجاته وارتفاعه أشبه بجبل يصور مناظر ينادي فيها نوح عليه السلام ابنه. لكن الإبن لا يأخذ مناداة الأب بجد. يتغير المشهد في الآية ٤٣. لذلك فإن الموجة التي تشبهها بجبل هي التي تمنع الاثنين، ولهذا ((فالصورة تقدم صورة حجم وارتفاعه الموج، وكلاهما يشبه جبلين. المستمع في هذه اللحظات القصيرة التي تحركهم في موجة مثل الجبل يتفاعل مع الآية، ويصرخ الأب نوح مؤلما، ويتجاهل الابن المغرور والموجة القوية والمتمردة تأخذ الموقف في لحظة سريعة ومتسارعة)) (قطب، ١٩٨٠: ٥٠).

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨). هذه الأمانة الإلهية النورانية، تشرق من بين ثغر الصباح الشفاف. ((وهي تثير كل الأحياء في الأرض وقلب السماء إلى التدفق، والإلهام، والتصديق، والإكرام)) (قطب، ١٩٨٠: ١٠٩). ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤). أنظر إلى الليل في القرآن الكريم يبحث بسرعة عن النهار ((يغشي الليلة النهار ويطلبه حثيثا)) وأن ذروة الخيال مع هذه الدورة المزدهرة المستمرة في حركة وديناميكية. وفي مكان آخر، يفحص جودة سواد وبرودة، وعتامة، وعري الارض في هذه الآية.

ومن أنواع التمثيل ما يسمي بالتشخيص، وهو ((إسناد صفة ما يعقل، أي الإنسان، إلى ما لا يعقل من المحسوسات والمعنويات، بحيث تبدو وكأنَّ لها حواس الإنسان ومشاعره، أي أن تخاطب ما لا يعقل بخطاب من يعقل)) (عبدالنور، ٢٠١٠: ٦٧). وعدَّ بعض النقاد العرب

(التشخيص) مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Personification)، ومن ثمَّ عرَّفه بأنَّه: ((إضفاء أو خلع الصفات الإنسانية على أشياء وكائنات غير إنسانية، سواء أكانت حيَّة أم جامدة، معنوية أو غير معنوية)) (عصفور، ٢٠٠١: ٢٣٩). وكان الفرّاء (٢٠٧هـ) قد أشار إلى هذا النوع من التصوير في أثناء تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (البقرة: ٣١)، قائلا: ((فعبّر عن الأسماء بلفظ العقلاء، إذ استعمل الضمير (هم))) (الفراء، ١٩٩٢: ٣٢/١). أما أبو عبيدة (٢١٠هـ) فقد سمّاه: ((مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس)) (أبوعبيدة، ٢٠٠٠: ١٠/١).

ومن أمثلة التشخيص في الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨). فيقول سيد قطب في تفسيره هذه الآية التي تشير إلى خوف الكائنات بعد النفخ في الصور والأحداث التي تحدث اثنائها: ((عندما ينفخ في الصور، مع هذا الخوف والدهشة، تحدث الثورة العالمية، وتختل حركة الكواكب والنجوم وتخرج من ترتيبها ونظامها. ومن مظاهر ورموز هذا الاضطراب والاضطراب أن الجبال القوية والثابتة تتحرك وتتدفق كالضوء والسحب المتناثرة. مشهد الجبال على هذا النحو يتلائم مع ظل الخوف والذعر ويتجلى فيه الجزع و الفزع، وكأن الجبال جازعة وفازعة مع النجوم والجازعين من هذا اليوم. كأن الجبال تفر كفرار الخائفين والشاردين ولا يستقر لها مكان أبدا)) (قطب، ١٤١٢: ٢٦٦٨/٥). ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨). الآن هذا هو الصباح الذي يتنفس ؛ أنفاسه النور والحياة والحركة التي تتغلغل في جسد كل كائن حي، واللغة العربية بكل تعبيراتها الممتدة ليس لها مثيل لهذا التعبير الذي يأتي من الصباح. لأن مشاهدة فجر الصباح تشير إلى وعي القلب الذي يتنفس بالواقع. (نفس المرجع: ٣٨٤٢/٦).

وفي تفسيره ((التصوير الفني في القرآن)) نري أن سيد قطب ينحو هذا المنحى. فهو يعتقد عن الآية ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (تكوير: ١٨) أنه في الواقع، مع هذا التعبير، ((يتخيل الإنسان أن الحياة تتغلغل من خلال ثغره اللماع. الصبح الجميل يتنفس ومع أنفاسه تتنفس الحياة، تتحرك، وببهجة الصباح تتدفق الحياة في السماوات والارض)) (قطب، ١٩٨٠: ٦٢).

٤-٤. الحجاج

لقد تميزّت آيات القرآن الكريم بخصائص متعددة منبعها سمة الإعجاز فيه و سحر بيانه، ومن هذه الخصائص أسلوب الحجاج الذي يعتمد تفكير العقل و البرهان و الحجّة لرد الرأي برأي أقوى منه، والحجّة بحجّة أبلغ منها. جاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة فلم تغادر كبيرة و لا صغيرة من أساليب الحجاج والإقناع إلا أحصاها و استخدمها، لذلك كان الخطاب القرآني دافعا إلى التأمل بالعقل الذي ميّز الله به الإنسان على سائر المخلوقات فيسلك أفضل السبل التي تهديه إلى الإيمان شو الصلاح و التقوى، وهنا كان السر في الخطاب القرآني الذي أنار العقول و أبان الحقيقة.

ومن هذه الحجاجات التي يشير إليها سيد قطب في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧). ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٨). ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٤٩). ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (ص: ٦٠)

اعتبر سيد قطب في هذا الصدد، الآيات لآيات ٦٠-٤٩ من سورة المباركة مقابل الآيات السابقة (١٧-١٤٨) وبالتالي يشرحها ويفسرها. كانت الآيات الأولى تدور حول حياة عباد الله المختارين في هذا العالم وذكرهم. ثم يذكر سبحان وتعالي المصائب التي جرت عليهم والتجارب التي قاموا بها ثم يتحدث عن الصبر والرحمة وفضله ونعمه. بعد ذلك يخاطب المنكرين ويكذبهم ويعدهم بالمواجهة في يوم الحساب. عملية مخاطبة القرآن تستمر في مجراها ثم تخطو في مشاهد من مشاهد يوم القيامة وتتبعها إلى النهاية. ثم لإظهار هذا الارتباط والتنسيق بشكل أدق، يستعين بكتابه الآخر مشاهد القيامة في القرآن: ((هذه الصفحة ذات العرض الكامل في مجموعات ومكونات وفي صور ورموز: إنه مشهد الأتقياء الذين لهم حسن الخاتمة والعاقبة. ومشهد الطاغين والعاصين الذي فيه سوء العاقبة)) (قطب، ١٤١٢: ٣٠٢٣/٥).

وصفوة القول عن الحجاج في القرآن لدي سيد قطب ينبني الخطاب على آليات استدلالية متعددة تستعمل في مقام الخطاب، وتبليغه على حد سواء، وتستخدم تقنيات العرض في الخطاب الحجاجي للتأثير في المخاطبين، وتوجيه أذهانهم وجهة معينة وتهيئتهم

للقيام مباشرة بالعمل سلوكا؛ حيث يتم استحضار العنصر المنتقى للمحاجة، وجعله ماثلا أمام أعينهم. والخطاب الحجاجي ليس بلورة لاستدلال قائم بذاته، ولكنه تبادل فعلي، أو مفترض بين طرفين أو أكثر يسعون إلى التأثير المتبادل من خلال مقاربة تواصلية، ويعتمد على سيرورة تفاعلية، وديناميةٍ تتداخل فيها مسارات الفهم والتدليل والفرضيات والبراهين في النسق العام للخطاب، وطرائق صياغته تستدعي الانفتاح على أكثر من مبحث يجعلها تجدد حقل الاكتشاف ومجالات التفسير، وتعيد بناء التصورات مرتكزة على مصادر متعددة للحجة في الملفوظ الحجاجي واختيار المعطيات، وتوظيف آليات في القياس والاستقراء والصرامة الصورية لاستنباط النتائج من خلال مستوى اختيار الألفاظ، وجهات التلفظ، وترابط الملفوظات، وعلامات المضمر، والتعدد الدلالي، وغيرها.

٤-٥. الطباق

الطباق في اللغة العربية هو أحد المحسنات البديعية المعنوية، أي التي تركز على المعنى، وهو الجمع بين معنيين متضادين في العبارة، والجمع بين المتضادات يُكسب الكلام حُسنًا. ((التضاد الذي يشار إليه أحيانًا بالمطابقة والطباق، هو مزيج من معنيين متعارضين، أي معنيين متناقضين تمامًا. الآن هذان المعنيان هما أحيانًا اسمان وأحيانًا فعلان وأحيانًا حرفان)) (الهاشمي، ١٩٩٩: ٣٦٦). والطباق إحدى فنون البديع المعنوية التي كثر ورودها في القرآن الكريم، وهو من أعظم المحسنات في القرآن أثرا في تجميل الأسلوب، وإبراز المعاني، لأنه يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، ولا يقف عند الألفاظ، بل يتجاوزها إلى المعاني، وهو بذلك وسيلة إيضاح جيدة تعرض بها الأشياء أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعاني. فلا شك أن الجمع بين الأشياء المتطابقة يضفي على الكلام حسنا وجمالا، ويزيده رونقا وبيانا فالضد يظهر حسنه الضد كما يقولون. إذ أن المطابقة تنشط الفاعلية الإدراكية، وتأدي إلى تداعي المعاني المعاكسة، وتوسع ملكة التخيل والوهم، وتوقظ الإحساس، وتأجج العاطفة، وتستفز الشعور من خلال تسليط الضوء على المفارقات.

وهنا نشير إلى البعض من الآيات التي فسّرها سيد قطب في تفاسيره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣). ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة: ٣١- ٣٢). فيعتقد سيد قطب أنها من نوع المواجهة. في المقابل، يتكون الكلام من

جزأين، وفي كل جزء، يتم استخدام عدة كلمات مناسبة، وكل جزء من هذين الجزأين يتقابل مع بعضهما البعض. ((هذه الآيات الأربع بمثابة جمل احتجاجية وهي تحتوي على دليل خاص للنبي. ويضيف في التفسير التالي للآية: إن الرسالة التي ترسلها هذه الآيات إلى قلب الإنسان وروحه هي أن الله قد نسب عمل هذا القرآن إلى نفسه في كل شيء، واعتبره كله ملكًا له، وأكد للنبي أن لن يضيع ولن ينسى شيئا مما فيه)) (قطب، ١٤١٢: ٦: ٣٧٦٧-٣٧٧٠).

يعتقد سيد قطب أن ((الجمع بين الأشياء المتضادة في صورة كلامية متناسقة يُعد من عناصر الجمال الأدبي في القرآن الكريم. وذلك لأن الأضداد سريعة التخاطر في الأذهان، فإيرادها قد يُحدث ارتياحا جماليا في النفس وفي الصور الحسية مشاهد للتضاد، وفي الأمثلة التي أشار إليها سيد قطب يُحدث الجمع بين الأضداد إعجابا وارتياحا في النفوس ولا يُحدث نفورا ولا انزعاجا ولا تفزّزا)) (نفس المرجع: ٣٣٤/٤).

٤-٦. التلميح

يلمح سيد قطب إلى القصص والروايات في القرآن من أجل إيصال الرسالة الإلهية وتثقيف وصقل وتنمية الإنسان في كل مكان بطرق مختلفة. ((تسعى القصص والحكايات دائمًا إلى تحقيق نفس الهدف في القرآن. وهي وسيلة لتحقيق غاية)) (قطب، ١٩٨٠: ١٩٩). إن القصة مكتوبة في القرآن لتحقيق المقاصد الدينية: ((ثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، والتوحيد الديني، واليقظة، والصحوة، والوعد والبشارة، ومظاهر القدرة الإلهية، ونهاية الخير والشر، والصبر، والشكر والكفر. والعديد من الأغراض الدينية الأخرى موضوعات القصص القرآنية)) (نفس المرجع: ٢٠٠). قصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى في البداية أو النهاية تغطي أهدافها كما نقرأ في بداية سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٢-٣).

كما نقرأ في سورة القصص قبل بداية قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ

مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٤-٤٦). ثم يتم عرض نفس الموضوع في سورة العمران، بداية قصة مريم، وفي سورة ص قبل قصة آدم، وفي سورة هود بعد قصة نوح، وفي سور أخرى.

الغرض الآخر من عرض الأدلة القرآنية على قصص هذا الكتاب المقدس هو ((التعبير عن المبدأ المشترك بين دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ودين إبراهيم، وجميع ديانات بني إسرائيل)).كما أن الدين والفن في رواية القصص هو أحد أجزاء هذا الكتاب، وفيه يتم تقديم وحدة الله ووحدة الدين ووحدة الرسل كأهداف للقصص القرآنية (قطب، ١٩٨٠: ٢٠٩).

النتائج:ـ

سيد قطب عالم عظيم يمكن دراسته في التفسير لنوع اللغة الفنية لأعماله، معتبرا أن لديه رؤية شاملة ومختلفة من حيث البديع في كل من تفسيراته، لكن ما يجعل عمله جميلًا هو شكل السرد في هذا الاشتراك، وهو فريد في كلا التفسيرين. الإعجاز الأدبي الذي استخدمه سيد قطب في تفسيري ((في ظلال القرآن)) و((التصوير الفني في القرآن)) هو استخدام صنايع البديع، والحجاج، والتضاد، والطباق، والتمثيل. وكانت كلماته دائمًا بسيطة وطلاقة ومصورة. وبعد فحصنا في تفسيري سيد قطب يتضح لنا أن لهما أهمية ومنزلة في الروائع البديعية كلها، لأنهما قد استخدمتا فيها لأهداف سامية ومقاصد بارزة ما شاهدنا خلال الفحص والتتبع في الروائع اللفية والمعنوية، وما إلى ذلك ما يزيد في معاني القرآن حُسنا ورونقا ومباني آياته روعة وجمالا مع إبقاء أساليبه المعجزة والمبدعة مما لا مزيد عليه. فعلي رأي سيد قطب فإن دعوة التدبر وادعاء النزاهة عن الاختلاف، كما أنه شاهد بيّن على عمومية فهم القرآن، هو خير شاهد على استقلال القرآن في الحجية وتبيين المعارف، وكذا على صحة و قوة أساليب البديع في القرآن؛ إذ لو كانت آيات القرآن منفصلة عن البعض، و كلّ منها ناظر إلى مطلب خاص، و لم يكن فيما بينها روابط من قبيل المناسبة والتمثيل والحجاج وغيرها، لما كانت أي واحدة من الآيات موافقة للأخرى أو مخالفة لها؛ إذ لا يوجد فيما بينهم قاسم مشترك وترابط في الدلالة والكلام.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. الباقلاني، أبو بكر (٢٠٠١م). إعجاز القرآن. تحقيق: أحمد صقر. ط٣. القاهرة: دار المعارف.
٢. بن سليمان، فهد بن عبد الرحمن (١٩٨٦م). اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. ط١. المملكة العربية السعودية: إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
٣. التفتازاني، سعد الدين (١٤٢٤ق). المطوّل. دراسة: الهنداوي، عبدالحميد. ط١. بيروت: دار الكتاب العلمية.
٤. الحسيني، سيد باقر (٢٠١٨م). منهج التفسير الأدبي للقرآن. ط١. طهران: ماهواره.
٥. الحسيني، فاطمة السادات (٢٠١٨م). ((دراسة مقارنة بين قصائد فروغ ونازك الملائكة على أساس سلم ماسلو التحفيزي)) فلسطين: مجلة النور. السنة١١. العدد٢٣. صص ٤٠-٤٦.
٦. الدسوقي، عبدالعزيز (١٩٧١م). جماعة أبولو وأثرها في الشعر العربي الحديث. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
٧. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢ق). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداوودي. ط١. بيروت: دار العلم الدار الشامية.
٨. طنوس، وهيب (١٤١٤ق). نظام التصوير الفني في الأدب العربي. حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.
٩. قطب، سيد (١٤١٢ق). في ظلال القرآن. ط٥. طهران: إحسان.
١٠. قطب، سيد (١٩٨٠م). التصوير الفني في القرآن. ترجمة: محمد على عبيدي. طهران: إنقلاب.
١١. كوبل، جيل (٢٠١٥م). نبي وفرعون. ترجمة: حميد أحمدي. ط١. طهران: كيهان.
١٢. محمد حسين، عبدالباقي (١٩٩٩م). سيد قطب حياته وآدابه. القاهرة: دار الوفاء.
١٣. مسلم، مصطفى (٢٠٠٥م). مباحث في التفسير الموضوعي. ط٤. القاهرة: دار القلم.
١٤. المعرفة، محمد هادي (٢٠٠٠م). التفسير والمفسرين. ط١. قم: مؤسسة التمهيد الثقافية.
١٥. ميرجليلي، على محمد (٢٠١٠م). أثر القرآن في نشأة العلوم الأدبية وتطورها. ط٢. قم: حديقة الكتاب.
١٦. الهاشمي، أحمد (١٩٩٩م). علم البلاغة. ط٣. قم: دار الهدي.
١٧. ويبستر، روجر (١٩٩٥م). ((المرأة والأدب)). ترجمة: موجغان بوروماند. طهران: الأدب الخيالي. السنة٧. العدد ٣٨. ص ٣-٤٩.